المحاضرة الرابعة: تصنيف الدلائل

1. تعريف الدليل اللساني:

أكد دسوسير أن الدليل اللساني لا يجمع بين شيء واسم، بل بين متصور ذهني وصورة سمعية، تخلّى دسوسير عن المصطلحين (أي المتصور الذهني والصورة السمعية) وعوضهما بالدّال والمدلول، حين شبههما بوجهي ورقة، وجه يمكن إدراكه هو الدّال، ووجه خفي لا يمكن إدراكه (المدلول)الذي يمثل الفكرة التي تصل إلى المتلقي عن طريق الدّال. وهكذا يتشكل الدليل اللساني ويكون اعتباطي أي عدم وجود علاقة طبيعية بين الدّال والمدلول (علاقة غير مبررة)، (علاقة تواضعية).

2. تصنيف الدلائل:

1.2. التصنيف التقليدي للدلائل:

أ. الدلائل الطبيعية: هي الدلائل التي تحدّدها قوانين فيزيائية بحيث يرتبط الدال بالمدلول بعلاقة سببية مباشرة، مثل الدخان الذي يشير إلى وجود النار، والأعراض التي تشير إلى وجود المرض (أمثلة: السحاب، الإحمرار، خفقات القلب،...)، فالدلائل الطبيعية هي كل علاقة طبيعية بين الدّال والمدلول من وحي الطبيعة لا دخل للإنسان فيها، وتتجسد الدلائل الطبيعية في مثال القرينة.

ب. الدلائل الاصطناعية: هي الدلائل التي وضعت بصفة اصطناعية أو اعتباطية، أي بموجب اتفاق عرفي من أجل إقامة الاتصال وتحقيقه بواسطتها، ويمكن أن تستعمل الدلائل الطبيعية (مثل السحاب، أو البرق) في ديكور مسرحية، وهنا تتحول الدلائل الطبيعية إلى دلائل اصطناعية وا ٍرادية وتصبح العلاقةبين الدّال والمدلول علاقة مقصودة ومتعمدة.

2.2. التصنيف الأكاديمي الفرنسي: على إثر التصنيف الذي أقامه **بايلون كريستيان** و**بول فابر**، يمكن دراسة أنواع الدلائل في شكل ثنائيتين رئيسيتين:

* القرينة والإشارة
* الدليل والرمز

- **القرينة والإشارة:**

القرينة (Indice): هي كل دليل لا يتضمن أي نية في التبليغ، وتتجسد في أربعة مجالات متميزة: اللغة – البلاغة – القانون – والسميولوجيا.

القرينة في اللغة العربية: نقصد بقرينة الكلام ما يصاحب الكلام ويدل على المراد به، وهي التي لا تحدد وظيفة اللفظة، وا ٍنما هي مجرد أداة تساهم في إعطاء لفظة من لفظات الجملة مدلولاً إضافيا مثل: أدوات التعريف (ال، مثل **ال**رجل)، التنوين، التسويف، مثل سوف، س،...الخ).

القرينة في البلاغة العربية: (المجاز اللغوي): تستخدم القرينة في البلاغة العربية في الاستعارة، وهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والتي تساهم في الدلالة على المعنى المجازين وقد تكون القرينة لفظية أو حالية. تتجسد القرينة اللفظية في حالة الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية، وعندما تكون القرينة حالية أي نلاجد أثر ً ا لها في الجملة ولكن يفهم معناها من سياق الكلام، فهنا نتحدث عن "المجاز" وفيه لا يقصد التشبيه، وا ٍنما النية والقصد من إخفاء المعنى الحقيقي بتعبير آخر مجازي.

في القانون: القرينة في القضاء هي كل الدلائل غير مباشرة التي يستخلص بواسطتها القاضي الحقيقة القانونية.

في السميولوجيا: عر ّ فها "لويس بريتو" بأنها «واقعة يمكن إدراكها فور ً ا، وتعر ّ فنا على شيء يتعلق بواقعة أخرى غير مذكورة».

الإشارة:

نستنتج مما سبق بأن القرينة ليس لها نية التبليغ، بينما الإشارة لنا نية التبليغ، ويمكن تقسيم الإشارات إلى نوعين رئيسيين: إشارات الدلالة Signaux significatifsوا ٍشارات الاتصال Signaux communicatifs.

▪ **إشارات الدلالة:** الإشارة يمكنها أن تحمل رسالة وتدل على شيء، ولكن وظيفتها الأساسية لا تكمن في ذلك، ولكن في الجانب النفعي الذي أنشئت لأجله، مثال: المسجد قد بني بالدرجة الأولى من أجل إقامة الصلاة، ولكن هندسته المعمارية تعكس بصمات الشخص الذي أشرف على بناءه، وهنا يكمن الجانب النفعي للإشارة الدلالية.

▪ **إشارات الاتصال:** هي الإشارات التي وضعتأساسً ا من أجل حمل أو نقل خبر، كإشارات المرور والدلائل اللسانية، وتتضمن الإشارة الاتصالية "النية في التبليغ" على خلاف "القرينة". إن السماء العاصفة ليس في نيتها الإعلان عن رداءة الطقس، ولكن بفضل هذه القرينة يشرع مسؤول الحماية المدنية على مستوى الشاطئ لمباشرة تعليق العلم الأحمر، فهو إشارة اتصالية وضعت لغرض إعطاء تحذير للمصطافين = العلم الأحمر = دليل غير لساني ← ينتمي إلى السميولوجيا. ومن بين الإشارات الاتصالية أيضا نذكر إشارات المرور كإشارة "قف". وتوجد بين هذين النوعين من الإشارات حالات وسطية مثل الكلمات المقلدة للأصوات الطبيعية مثل Boom، Crac، وهي تجمع بين الإشارات السميولوجية، والإشارات اللسانية.

▪ **الدليل والرمز:** نسمي رمزا ودليلا كل إشارة اتصالية.

أ. الرمز: هو إشارة تقوم على ركائز طبيعية مثل الدخان الذي يدل على وجود النار، بخلاف الدليل الذي لا يتمتع بأي علاقة طبيعية من شأنها أن تربط بين سلسلة الأصوات المكونة للدّال اللساني وما تمثله أو بين شكل الضوء الأحمر (بوصفة دالا سميولوجيا يثبت في ملتقى الطرق الخطير)، والمعنى الذي يدل عليه. يدل الرمز (Z) الذي تتضمنه لافتة المرور (المنعطف الأخير) على وجود خطر محتمل. وهكذا توجد بين العنصر "أ" (شكل اللافتة) والعنصر "ب" (منعرج الطريق)، علاقة طبيعية أو فيزيائية وطيدة، أي علاقة تشابهية. وفي هذا المثال يعد (Z) هذا رمزً ا، إذن الرمز هو الإشارة الاتصالية التي تسجل علاقة تشابهية داخل ثقافة معينة مع العنصر الذي تمثله.

ب. الدليل: عندما لا تكون هناك علاقة طبيعية بين العنصر "أ" والعنصر "ب"، أي بين العلم الأحمر والسباحة الخطيرة، نقول عن هذه الإشارة بأنها دليل سميولوجي.
مثال2: لافتة الريح الجانبية، اللافتة تدل على وجود أشغال،... الخ.

3. التصنيف الأمريكي للدلائل:

يقسم "بيرس" الدلائل إلى أيقونات، ومؤشرات، ورموز، ويقيم تقسيمه هذا من منطلق العلاقة القائمة بين المصورة والموضوع.

أ. الأيقونة: عرّ ف بيرس الأيقونة كما يلي: «إن الأيقونة علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها، فقد يكون أي شيء أيقونة لأي شيء آخر

سواء كان هذا الشيء صفة، أو كائنا فردا أو قانونا بمجرد أن تشبه الأيقونة هذا الشيء وتستخدم علامة له».

ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن الأيقونة هي علامة تقوم العلاقة فيما بين الدال والمدلول على مبدأ التشابه، مثال على ذلك، **الصورة الفوتوغرافية**، التي تحيل على الشخص المقصود بناءً على خاصية المشابهة.

ويميز بيرس بين 3 أنواع من الأيقونات: **الصورة، والرسم البياني، والاستعارة**، وكلها تنطوي على جوانب تشابه بينها، وبين المشار إليه.

ب. المؤشر: عرّف بيرس المؤشر بقوله: «هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه، بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع». ومن هنا نستنتج أن المؤشرات ترتبط بموضوعها ارتباطا سببيا، مثل الأعراض التي تدل على وجود مرض، والخضرة على وجود الماء. وتستعير المؤشرات (عند بيرس) اسمها من السبابة (Index) التي تحيل إلى الشيء المشار إليه، مثل الطرق على الباب الذي يشير إلى وجود شخص بالخارج. فالمؤشر هو كل دليل يستخدم بطريقة إرادية ليوحي بشيء (الإشارة الإيمائية) ويشير إليه (الإشارة اللفظية).

يمكن أن ندرج في إطار الإشارة الإيمائية كل الدلائل الطبيعية التي يرتبط فيها الدال بالمدلول ارتباطاً سببياً (الطرق على الباب، الدخان). الإشارة اللفظية: وظيفتها تكمن في توجيه المخاطب إلى ما يجب الالتفات إليه، ويركز عليه اهتمامه، فيستخدمها المتكلم ليربط نفسه بمخاطبيه من خلال استخدامه للضمائر: أنا - أنت... كذلك ليشير إلى مكان الخطاب (هنا) زمانه؛ الآن، أو ليربط نفسه بالبيئة الطبيعية، أو بأشياء أخرى؛ هذا، ذلك، مثال هو بخير.

فالمؤشرات الإيمائية واللفظية تركز على وظيفة أساسية هي **"تركيز الاهتمام"**، مثال: الصحافة المكتوبة: المانشيت ←عموماً المؤشرات ليست كيانات مطلقة، بل هي مجرد وظائف، مثلها مثل الأيقونات والرموز.

جـ. الرمز: تكون العلاقة التي تربط الدّال والمدلول في الرمز عرفية وغير معللة (دون المشابهة).

يعر ّف بيرس الرمز: «الرمز هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفصل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة»، ويطلق عليها بيرس في بعض الأحيان تسميات "العادات" أو القوانين، مثال: اتفاق الناس على أن يكون السواد دليلا على الحداد والحزن.